الحصري للكلمة. ولكي يتغلب عبدالناصر على العجز القسري الذي فرضه عليه هذا الواقع العالمي، لجأ الى التعبئة والتحريض كوسيلة لاستنهاض همة الجماهير المصرية والعربية. وفي هذا الاتجاه، طرح عبدالناصر مجموعة من المواقف العقائدية والافكار السياسية التي بلورها مع الوقت، وعلى أثر المستجدات السياسية والعسكرية التي فرضتها الضغوطات الغربية ـ قبل وبعد العدوان الثلاثي ـ إما مباشرة، أو بواسطة الدور العدواني المناط باسرائيل. ويلمس الطابع التعبوي في مواقف عبدالناصر السياسية وتوجهاته العقائدية بوضوح في خطاباته في المرحلة التي تلت العدوان الثلاثي، والعدوان الذي سبقه، بفترة وجيزة على قطاع غزة العام ١٩٥٥. فمضمون خطاباته، في تلك الفترة، أشار الى يقينه أن «الغرب، الذي أوجد دولة اسرائيل، لن يعط مصر سلاحاً يستعمل ضد[ها]»(١٢). والمعركة التي خاضتها مصر ضد العدوان الثلاثي هي معركة «ضد الاستعمار وضد ربيبته اسرائيل، التي تمّ تأسيسها للقضاء على الامة العربية، بعد ان تمّ القضاء على فلسطين»(١٣). وفي خطاب آخر، وصف عبدالناصر اسرائيل بأنها «آخر الاسلحة» في جعبة القوى الاستعمارية، وانها «رأس الحربة» لتحقيق مآرب الغرب في تدمير الامة العربية وزرع الشقاق في صفوف العرب(١٤).

قضيتان متلازمتان

منذ تلك الفترة تركّزت اطروحات عبدالناصر العقائدية على تلازم القضيتين الفلسطينية والعربية. وبدا واضحاً له، بعد كل التطورات هذه، ان الصراع مع اسرائيل ليس صراعاً مصرياً ـ اسرائيلياً، ولا فلسطينياً ـ اسرائيلياً فحسب، بل هو صراع عربي ـ اسرائيلي بالضرورة. وبالتالي، فان تلازم القضيتين يتطلب من العرب السعي الى الوحدة ورصّ الصفوف، والعمل على نبذ الفرقة والشقاق اللذين سعت الدوائر الامبرالية الى زرعهما في صفوف العرب، من خلال الانظمة المحلية المرتبطة مصلحياً مع هذه الدوائر. بذا حدّد عبدالناصر العدو الرئيس للامة العربية في ثلاثة أطراف لها مصلحة في بقاء العرب على حال من التشرذم والضعف والتخلف، هي الامبريالية والصهيونية والدول العربية الموالية للغرب. ولا يكاد خطاب واحد لعبدالناصر يخلو من التحذير من هذا الحلف المثلث الاطراف. وقد عبّر عبدالناصر عن مخاوفه من هذا الحلف بقوله ان «اسرائيل لا تهدّدنا بالاحتلال والتوسع فحسب، بل تهدد وجود الامة العربية برمتها، ذلك ان الحركة الصهيونية تهدف الى تحقيق دولة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل، معتمدة، في ذلك، على أعداء الأمة العربية: الامبريالية وأدواتها المحلية(١٥).

وتكرر في خطابات عبدالناصر التأكيد على ان الصهيونية هي نقيض الامة العربية. واستند في تفسيره للدور المناط بها الى الوقائع التاريخية للنهج الامبريالي في المنطقة، منذ اتفاقية سايكس ـ بيكو العام ١٩١٦. اذ بموجب تلك الاتفاقية الانكلو ـ فرنسية رُسمت حدود مصطنعة للمشرق العربي، وتمّ تقسيمه الى مناطق انتداب انكليزي ـ فرنسي، بهدف تسهيل اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ثمّ منحت بريطانيا وعد بلفور لليهود في العام التالي [١٩١٧]. وقال عبدالناصر في هذا الصدد: ان «الدول الاستعمارية خطّطت لتقسيم العالم العربي الى دويلات... تافهة، توافق على منح فلسطين لليهود وتفرض على العرب سياسة الامر الواقع»(١٦).

وفي رسالة بعث بها الرئيس الاميركي، جون كنيدي في الحادي عشر من أيار (مايو) ١٩٦١، كتب عبدالناصر: «موقفنا من اسرائيل ليس موقفاً مشحوناً بالعواطف، بل هو يستند الى الحقائق التالية: عدوان شنّ علينا في الماضي؛ خطر محدق بنا في الحاضر؛ ومستقبل مجهول محفوف بالتوتر والقلق على المصير»(١٧).